الباب الثالث

أخبار الصيد

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الثالث

أخبار الصيد

توكلت على الله تعالى

ولله مني جانب لا اضيعه

وللهو مني والبطالة جانب

قد ذكرت من أحوال الحرب ، وما شاهدته من الوقعات والمصافات والأخطار ما حضرني ذكره ولم ينسنيه الزمان ومره ، فان العمر طال ولزمت الانفراد والاعتزال ، والنسيان من ارث متقادم من أبينا آدم ، عليه السلام .

وأنا ذاكر فصلا فيما حضرته وشاهدته من الصيد والقنص والجوارح فمن ذلك ما حضرته بشيزر في صدر العمر ، ومن ذلك ما حضرته مع ملك الأمراء أتابك زنكي بن آق سنقر ، رحمه الله تعالى ، ومن ذلك ما حضرته بدمشق مع شهاب الدين محمود بن تاج الملوك ، رحمه الله ، ومن ذلك ما حضرته بمصر ، ومن ذلك ما حضرته مع الملك العادل نور الدين أبي المظفر محمود بن أتابك زنكي ، رحمه الله ، ومن ذلك ما حضرته بديار بكر مع الأمير فخر الدين قرا أرسلان بن داود بن أرتق ، رحمه الله .

فأما ما كان بشيزر فكان مع الوالد ، رحمه الله ، وكان مشغوفا بالصيد لهجا به وبجميع الجوارح ، ومايستكثر مايغرمه عليه لفرجته ، فإنه كان نزهته ، فليس له شغل سوى الحرب وجهاد

الأفرنج ونسخ كتاب الله ، عز وجل عند فراغه من أشغال أصحابه ، وهو رحمه الله ، صائم الدهر مواظب على تلاوة القرآن ، فكان الصيد كما جاء في الخبر «روحوا القلوب تعي الذكر» ، فما رأيت قط مثل صيده وترتيبه .

وقد شاهدت صيد ملك الأمراء اتابك زنكي ، رحمه الله ، وكان له الجوارح الكثيرة ، فرأيته ونحن نسير على الأنهار فيتقدم البازدارية بالبزاة ترميها على طيور الماء وتدق الطبول كجاري العادة فتتصيد منها ما تصيد وتخطىء ما تخطىء ، ووراءهم الشواهين الكوهية (١٢٤) على أيدي البازدارية ، فاذا اصطادت البزاة وأخطات أرسلوا الشواهين الكوهية على الطيور وقد ابعدت دشت خيز (١٣٥) ، فتلحق وتصيد ، وترسل على الحجل فتلحق الحجل في طلوعها في سفح الجبل فتصيد ، فانها من سرعة الطيران على صفة عجيبة .

وشاهدته يوما ونحن في المغرقة بظاهر الموصل نسير في باننجان وبين يدي أتابك بازيار على يده باشق ، فطار ذكر دراج فأرسله عليه فأخذه ونزل ، فلما صار في الأرض فرط الدراج من كفه وطار ، فلما إرتفع انتقل الباز من الأرض أخذه ونزل وقد ثبته .

ورأيته وهو في صيد الوحش دفعات ، إذا اجتمعت الحلقة واجتمع فيه الوحش لا يقدر أحد يدخل الحلقة ، واذا خرج من الوحش شيء رموه ، وكان من أرمى الناس ، فكان اذا دنا منه الغزال رماه ، فنراه كأنه قد عثر فيقع ويذبح ، وكان أول غزال يضربه في كل صيد أحضره ، يدفذه لي مع غلام من غلمانه وأنا معه .

وشاهدته وقد اجتمعت الحلقة ونحن في ارض نصيبين على الهرماس(١٣٦) ، وقد ضربوا الخيام ، فوصل الوحش الى الخيام ، فخرج الغلمان بالعصي والعمد فضربوا منها شيئا

كثيرا ، واجتمع في الحلقة نيب فوثب في وسطها على غزال أخذه وبرك عليه ، فقتل وهو عليه .

وشاهدته يوما ونحن بسنجار وقد جاءه فارس من أصحابه فقال: «هاهنا ضبعة نائمة !» فسار ونحن معه الى واد هناك ، والضبعة نائمة على صخرة في سفح الوادي ، فترجل أتابك ومشى حتى وقف مقابلها وضربها بنشابة رماها إلى أسفل الوادي ، ونزلوا جاؤوا بها إلى بين يديه وهي ميتة .

ورأيته أيضا بظاهر سنجار وقد جلوا أرنبا ، فأمر فاستدارت الخيل حولها ، وأمر غلاما خلفه يحمل الوشق كما يحمل الفهد ، فتقدم أرسله على الأرنب ، فدخلت بين قوائم الخيل ، وما تمكن منها ، وما كنت رأيت الوشق قبل ذلك يصيد .

ورأيت الصيد بدمشق أيام شهاب الدين محمود بن تاج الملوك للطير والغزلان وحمر الوحش واليحامير ، فرأيته يوما وقد خرجنا الى شعراء بانياس وفي الأرض عشب عظيم ، فتصيدنا كثيرا من اليحامير ، وضربت الخيام حلقة ونزلنا ، فقام من وسط الحلقة يحمور كان نائما في العشب فأخذ في وسط الخيام .

ورأيت ونحن عائدون رجلا قد رأى سنجابا في شجرة ، فأعلم به شهاب الدين ، فجاء وقف تحته ورماه مرتين أو ثلاثا فما أصابه . فتركه وسار شبه المغتاظ الذي لم يصبه ، فرأيت رجلا من الأتراك جاء رماه فوسط النشابة فيه ، فاسترخت يداه وبقي متعلقا برجليه والنشابة فيه حتى هزوا الشجرة فوقع ، ولو كانت تلك النشابة في ابن آدم كان مات لوقته ، فسبحان خالق الخلق .

ورأيت الصيد بمصر كان للحافظ لدين الله عبد المجيد أبي الميمون ، رحمه الله ، جوارح كثيرة من البزاة والصقور والشواهين البحرية ، فكان لهم زمام يخرج بهم في الجمعة

يومين ، وأكثرهم رجالة على ايديهم الجوارح ، فكنت اركب يوم خروجهم الى الصيد لأتفرج بنظر صيدهم ، فمضى الزمام الى الحافظ وقال له: «إن الضيف فلانا يخرج معنا »؟ كأنه يستطلع أمره في ذلك ، فقال :«اخرج معه يتفرج على الجوارح ».

فخرجنا يوما ومع بعض البازيارية باز مقرنص بيت أحمر(١٣٧) العينين ، فرأينا كراكي ، فقال له الزمام: «تقدم ارم عليها الباز الأحمر العينين» ، فتقدم رماه ، وطارت الكراكي فلحق منها واحدا على بعد منا فحطه ، فقلت لغلام لي على حصان جيد : « ادفع الحصان اليه وانزل اغرز مذقار الكركي في الأرض واكتفه واترك رجليه تحت رجليك الى أن نصلك » فمضى وعمل ما قلت له ، ووصل البازيار ذبح الكركي واشبع الباز .

فلما دخل الزمام حدث الحافظ بما جرى ، وما قلته الغلام ، وقال : «يا مولانا ، حديثه حديث صياد» ، قال :« وأي شيء شغل هذا إلا القتال والصيد؟»

وكان معهم صقور يرسلونها على البلاشيب وهي طائرة ، فاذا رأى البلشوب الصقر دار وارتفع ، والصقر يدور في جانب آخر حتى يرتفع على البلشوب ، ثم ينقلب عليه يأخذه .

وفي تلك البلاد طيور يسمونها البج مثل النحام يصيدونها أيضا ، وطيور الماء في مقطعات النيل سهلة الصيد ، والغزال عندهم قليل ، بل في تلك البلاد بقر بني اسرائيل وهي بقر صفر قرونها مثل قرون البقر وهي اصغر من البقر تعدو عدوا عظيما ، وتخرج لهم من النيل دابة يسمونها فرس البحر مثل البقرة الصغيرة وعيناها صغيرتان وهي جرداء مثل الجاموس . لها أنياب طوال في فكها الاسفل ، وفي فكها الأعلى خروق لأنيابها تخرج رؤوسها من تحت عينيها . وصياحها مثل صياح الخنزير . ولا تبرح في بركة فيها ماء وتأكل الخبز والحشيش والشعير(١٣٨) .

وكنت قد مضيت مع الأمير معين الدين ، رحمه الله ، الى عكا الى عند ملك الافرنج فلك بن فلك ، فرأينا رجلا من الجنوية قد وصل من بلاد الافرنج ومعه باز كبير مقرنص يصيد الكركي ، ومعه كلبة صغيرة إذا أرسل الباز على الكراكي عدت تحته ، فإذا أخذ الكركي وحطه عضته فلايقدر على الخلاص منها ، وقال لنا ذلك الجنوي : « ان الباز عندنا اذا كان نذبه ثلاث عشرة ريشة اصطاد الكركي ». فعددنا ننب ذلك الباز فكان كذلك .

فطلبه الأمير معين الدين ، رحمه الله ، من الملك فأخذه من ذلك الجنوي هو والكلبة وأعطاه للامير معين الدين ، فجاء معنا ، فرأيته في الطريق يثب الى الغزلان كما يثب الى اللحم ، ووصلنا به إلى دمشق ، فما طال عمره بها ولا صاد شيئا ومات .

وشاهدت الصيد في حصن كيفا مع الأمير فخر الدين قرا أرسلان ابن داود ، رحمه الله ، وهناك الحجل والزرخ(١٣٩) كثير والدراج ، فأما طير الماء فهو في الشط وهو واسع ما يتمكن الباز منها ، وأكثر صيدهم الأراوي ومعزي الجبل يعملون لها شباكا ويمدونها في الأودية ويطردون الأراوي فتقع في تلك الشباك وهي كثيرة عندهم وقريبة المتصيد ، وكذلك الأرانب .

وشهدت الصيد مع الملك العادل نور الدين رحمه الله ، فحضرته ونحن بأرض حماة ، وقد جلوا له ارنبا فضربها بنشابة كساء وقامت وسبقت الى محجر نخلته ، فركضنا خلفها ، ووقف عليها نور الدين . وناولني الشريف السيد بهاء الدين رحمه الله ، رجلها قد قطعتها النشابة من فوق العرقوب وشقت جوفها قرنة النصلة فوقع منها بيت الولد ، وسبقت بعد هذا وانحجرت ، فأمر نور الدين بعض الوشاقية نزل وقلع خفافه ودخل خلفها ، فما وصل اليها ، وقلت للذي معه بيت الاولاد وفيه خرنقات « شقة واطمرهم بالتراب» ، ففعل ، فتحركوا وعاشوا

وحضرته يوما وقد أرسل كلبة على ثعلب ونحن على قرا حصار بأرض حلب ، فركض خلفه وأنا معه ، فلحقت الكلبة أخذت ذنب الثعلب فرجع إليها برأسه فعض خيشومها ، فصارت الكلبة تعوي ، ونور الدين رحمه الله يضحك ، ثم خلاها وانجحر. فما قدرنا عليه .

وجاءه يوما ونحن ركاب تحت قلعة حلب من شمالي البلد باز ، فقال لنجم الدين أبي طالب علي كرد(١٤٠) رحمه الله «قل لفلان - يعنيني - يأخذ هذا الباز يلعب به» ، فقال لي ، فقلت «ماأحسن له» فقال نور الدين: «أنتم في الصيد ما كنتم تزالون ، ما تحسن تصلح الباز؟» قلت: «يا مولاي ، ما كنا نصلحها نحن ، كان لنا بازيارية وغلمان يصلحونه ويتصيدون بها قدامنا» ، وما أخذت الباز.

شاهدت من الصيد مع هؤلاء الأكابر شيئا ما اتسع لي الوقت لذكره مفصلا ، وكانوا قادرين على ما يحاولونه من صيد وآلته وغيره . وما رأيت مثل صيد والدي ، رحمه الله ، فما أدري كنت أراه بعين المحبة كما قال القائل: «وكل ما يفعل المحبوب محبوب» ، ما أدري أكان نظري فيه على التحقيق ، وأنا أذكر شيئا من ذلك ليحكم فيه من يقف عليه

وذلك أن والدي ، رحمه الله ، كان قد فرغ زمانه لتلاوة القرآن والصيام والصيد في نهاره ، وفي الليل ينسخ كتاب الله تعالى ، فكان قد نسخ ستا وأربعين ختمة بخطه ، رحمه الله ، منها ختمتان بالذهب جميع القرآن ، ويركب الى الصيد يوما ويستريح يوما ، وهو صائم الدهر .

ولنا بشيزر متصيدات : متصيد للحجل والأرانب في الجبل قبلي البلد ، ومتصيد لطير الماء والدراج والأرانب والغزلان على النهر في الازوار من غربي البلد .

وكان يتكلف في تسيير قوم من أصحابه الى البلاد لشري البزاة ، حتى أنه انفذ الى القسطنطينية أحضر له منها بزاة ، وحملوا الغلمان معهم من الحمام ما ظنوا أنه يكفي البزاة التي معهم ، فتغير عليهم البحر ، وتعوقوا حتى فرغ ما معهم من طعم البزاة ، فاضطروا الى ان صاروا يطعمون البزاة لحم السمك ، فأثر ذلك في اجنحتها صار ريشها ينكسر وينقصف ، فلما وصلوا بها الى شيزر كان فيها بزاة نادرة ، وفي خدمة الوالد بازيار طويل اليد في اصلاح البزاة وعلاجها يقال له غنائم ، فواصل احنحتها واصطاد بها ، وقرنص بعضها عنده .

وكان اكثر ما يستدعي البزاة ويشاريها من وادي ابن الأحمر بالعلا (١٤١) ، فأحضر قوما من أهل الجبل القريب من شيزر من اهل بشيلي وبسمالخ وحلة عارا(١٤٢) ، وتحدث معهم في ان يعملوا في مواضعهم مصايد للبزاة ، ووهبهم وكساهم ، فمضوا وعملوا بيوت الصيد ، فاصطادوا بزاة كثيرة فراخا ومقرنصة وزرارق ، فحملوها الى الوالد وقالوا : « يا مولانا ، نحن قد بطلنا معايشنا وزراعتنا في خدمتك ، ونشتهي أن تأخذ منا كل ما نصيده وتقرر لنا ثمنا نعرفه لا تجاذب فيه» فقرر ثمن الباز الفرخ خمسة عشرة دينارا ، وثمن الزرق المقرنص نصفها ، وثمن الباز المقرنص عشرة دنانير ، وثمن الزرق المقرنص نصفها ، واذفتح للجبليين أخذ دنانير بغير كلفة ولا تعب ، انما يعمل به بيتا بحجارة ، وعلى قدر خلقته ، ويغطيه بعيدان ويسترها بقش وحشيش ، ويجعل نافذة ، ويأخذ طير حمام يجمع رجليه على قضيب ويشدها اليه ، ويخرجه من تلك النافذة ، يحرك العود فيتحرك الطير ويفتح أجنحته ، فيراه الباز ينقلب عليه يأخذه ، فإذا أحس به الصياد جذب القضيب الى النافذة ومد يده قبض رجلي الباز ، وهو قابض للطير الحمام ، وأنزله اليه وخيط عينيه ويصبح من الغد يصلنا به ، ويأخذ ثمنه ويعود الى بيته بعد يومين .

فكثر الصيادون وكثرت البزاة حتى صارت عندنا مثل الدجاج : فيها ما يتصيد به وفيها ما يموت على الكنادر (١٤٣) من كثرتها .

وكان في خدمة الوالد بازيار وصقارون وكلابزية ، وعلم قوما من مماليكه اصلاح البزاة فمهروا فيها ، وكان يخرج الى الصيد ونحن أولاد معه في اربعة رجال ، ومعنا غلماننا وجنائبنا وسلاحنا ، فإنا ما كنا نأمن من الفرنج لقربهم منا . ويخرج معنا بزاة كثيرة من العشرة وما حولها ، ومعه صقاران وفهادان وكلابزيان ، مع أحدهما كلاب سلوقية ومع آخر كلاب زغارية ، فيوم خروجه الى الجبل لصيد الحجل وهو بعيد من الجبل يقول لنا اذا خرج الى طريق الجبل : « تفرقوا ، كل من عليه قراءة يقرأها » ، ونحن أولاد حفاظ القرآن ، فنفترق نقرأ حتى يصير الى مكان الصيد يأمر من يستدعينا فيسألنا كم قرأ كل واحد منا ، فإذا أخبرناه يقول : انا قرأت مائة آية ، أو نحوها ، وكان رحمه الله ، يقرأ القرآن كما أنزل .

فاذا صرنا في المتصيد أمر الغلمان فتفرق بعضهم مع البازيارية ، فكيف طارت الحجل كان في ذلك الجانب باز يرسل عليه ، ومعه من مماليكه وأصحابه أربعون فارسا أخبر الناس بالصيد ، فلا يكاد يطير طير ولا يثور أرنب ولا غزال الا اصطدناه ، وننتهي في الجبل نصيد الى العصر ، ثم نعود وقد اشبعنا البزاة وطرحناها على القلوت(١٤٤) في الجبل شربت واستحمت ، ونعود الى البلد بعد عتمة .

فإذا ركبنا الى طير الماءو الدراج كان ذلك يوم فرجتنا ، نقع في الصيد من باب المدينة ثم نصل الى الازوار فيقف الفهود والصقور برا من الزور وندخل اليه بالبزاة ، فان طارت دراجة أخذها الباز ، وإن قفزت أرنب أرسلنا عليها بعض البزاة ، فان أخذها والا خرجت الى الفهود ارسلوا عليها ، وان قفز غزال خرج الى الفهود ارسلوا

عليه . فان اخذ والا ارسلوا عليه الصقور ، فما يكاد يفلت منا صيد الا بفسحة الاجل .

وفي الازوار خنازير كثيرة تحـرج ، فنركض عليهـا ونقتلهـا فيكون فرحنا بقتلها اكثر من فرحة الصـيد .

وكان له ترتيب في الصيد كأنه ترتيب الحـرب والامـر المهـم ، لا يشغل أحد بحديث مع صاحبه ولا لهم هم الا التبحر في الارض لنظر الارانب او الطير في اوكارها .

وكان قد صار بينه وبين بني روبال ـ تروس ولاون الارمن منن أصحاب المصيصة وطرسوس وأذنة والدروب ـ مصـادقة ومـكاتبة اكبر سببها رغبته في البزاة ، فكان يتفذون له كل سنة عدة من عشرة بزاة أو ماحولها على أيدي رجاله أرمن بـازيارية ويتفـذون الكلاب الزغارية ، وينفذ لهم هو الحصن والطيب ، ومـن كسوة مصر ، فكان يجيئنا من عندهم بزاة ملاح نادرة فـاجتمع عندنا في بعض السنين بزاة قد جاءت من الدروب فيها باز فرخ مثل العقاب وبـزاة

دونه وجاءنا من الجبل عدة فيها باز كأنه صـقر عريض فـرخ مـا يلحق بتلك البزاة ، والبازيار غنائم يقول: «ما في هذه البـزاة كلهـا مثل هذا الباز اليحشور(١٤٥) ما يترك شيئا الا يصيده » ، ونحن لا نصدقه ، ثم أصلح ذلك الباز ، فكان كما ظن فيه من أفره البـزاة وأطيرها وأشطرها ، وقرنص عندنا وخرج من القرناص أجود ممـا كان ، وعمر ذلك الباز وقرنص عندنا ثلاث عشرة سنة ، فـكان قـد صار كأنه من أهل البيت يصـطاد للخـدمة ، لا لما جـرت بـه عادة الجوارح أن يصيدوا لنفوسهم .

وكان مقامه عند الوالد ، رحمه الله ، لا يتركه عند البازيار ، لأن البازيار إنما يحمل الباز في الليل ويجوعه حتى يصـطاد بـه وذلك الباز كان يكفي من نفسه ويعمل مـا يراد منه ، فـكنا نخرج الى

صيد الحجل ومعنا عدة بزاة فيدفعه الوالد إلى بعض البازيارية ويقول: «اعتزل به ولا ترسله بالحملة وتستر في الجبل». فكلما خلوا أبصروا حجلة لابدة من شجرة قد أعلموه بها يقول: «هاتو اليحشور» ساعة يقيم يده له قد طار من على يد البازيار ، وقع على يده بغير دعو ، ثم يستشرف برأسه ورقبته فيقف على الحجلة النائمة ويرميها بقضيب في يده فتطير ، ويرسل عليها اليحشور فيأخذها في عشرة أذرع ، وينزل اليه البازيار يذبح في رجله ويرفعه ، فيقول: «اعتزل به» فاذا رأوا حجلة أخرى لا بدة عمل بها ذلك ، حتى يصيد خمس ست حجلات ، كذا يأخذها في عشرة أذرع ، ثم يقول للبازيار «اشبعه» فيقول له: «يامولاي ، ما تدعه نتصيد به؟» يقول: «يا بني ، معنا عشرة بزاة نتصيد بها وهذا قد صاد ، هذه الاطلاق تقطع عمره» ، فيشبعه ويعتزل به البازيار .

فاذا انهينا في الصيد واشبعنا البزاة وحططناها على الماء شربت واستحمت واليحشور على يد البازيار ، فاذا استقبلنا البلد راجعين ونحن في الجبل قال: «هات اليحشور» حمله على يده وسار ، إن طارت حجلة من بين يديه ارسل عليها صادها حتى يصيد عشرة اطلاق أو أكثر على قدر ما يطير له من الحجل ، وهو شبعان لا يحط منسره في مذبح حجلة ولا يذوق دمها ، فاذا دخلنا الى الدار قال: «هاتوا طاسة ماء» فجاؤوا بطاسة فيها ماء قدمها اليه وهو على يده ، رحمه الله ، فيشرب منها ، وإن كان يريد يستحم خضخض منسره في الماء ، فيدري انه يريد يستحم فيأمر باحضار جفنة كبيرة فيها ماء ويقدمه اليها ، فيطير ينزل في وسطها ويدف في الماء حتى يكتفي من السباحة ثم يطلع ، فيحطه على قفاز خشب ، قد عمل له ، كبير ، ويقرب منه منقل نار ، فيتمشق ويتدهن حتى ينشف من الماء ، ثم يضع له فروا مطويا ، فينزل إليه ينام عليه ، فلا يزال بيننا على ذلك الفرو نائما حتي يتهور الليل ، ويريد الوالد يدخل الى دار الحرم فيقول لأحدنا : «احمله» فيحمل كما هو نائم على الفرو حتى يحط الى جانب فراش الوالد رحمه الله .

وكان من عجائب هذا الباز ، وعجائبه كثيرة وأنا أذكر منها ما يحضرني ذكره ، فان الأمد قد طال وانستني السنون كثيرا من أحواله ، أن كان في دار الوالد حمام وطيور ماء خضر واناثها وبيضانيات(١٤٦) من التي تكون بين البقر لتلتقط الذبان من الدار ، وكان يدخل الوالد وهذا الباز على يده يجلس على دكة في الدار والباز على قفاز الى جانبه فلا يطلب شيئا من تلك الطيور ولا يثب اليها ، ولا كأنها مما جرت عادته بصيدها .

وكانت المياه تكثر في ظاهر شيزر في الشتاء فيصير برا من سورها نقاع كبئار ماء وفيه الطيور ، فيأمر الوالد البازيار وغلاما معه يخرجا الى قريب من تلك الطيور ، ويأخذ اليحشور على يده ويقف به على الحصن يريه الطيور وهو شرقي البلد والطيور غربيها ،فاذا أبصرها أرسله فينزل يشف على البلد حتى يخرج منه وينتهي الى الطيور ، فيدق له البازيار الطبل فتطير الطيور فيصيد منها وبينها وبين موضع ارسل منه مسافة بعيدة .

وكنا نخرج الى صيد طير الماء والدراج ، ونرجع بعد عتمة نسمع صوت طيور في خلجان كبار بالقرب من البلد ، فيقول الوالد: «هات اليحشور» ، فيأخذه وهو شبعان ويتقدم الى الطيور يدق الطبل حتى تطير الطيور ثم يرميه عليها ، فان اصاد وقع بيننا نزل اليه البازيار ذبح في رجله ورفعه ، وان لم يصد وقع على بعض أكناف النهر فما نراه ولا ندري أين وقع ، فنخليه وندخل إلى البلد ، ويصبح البازيار من سحر يخرج اليه يأخذه ويطلع به إلى الحصن إلى عند الوالد ، رحمه الله ، ويقول له: «يامولاي» قد صقل هذا الصقيع قفاه طول الليل ، وقد أصبح يقط البولاد(١٤٧) فاركب ابصر ايش يعمل اليوم!»

وما كان يفوت هذا الباز شيء من الصيد من السمانة الى الوز السمند والأرنب ، وكان البازيار يشتهي ان يصيد به الكراكي والحرجل ما يتركه الوالد ويقول: «الحرجل والكراكي نصيدها

بالصقور » ، وكان هذا الباز قد قصر عما نعهده من صيده سنة من السنين ، حتى أنه كان اذا ارسل واخطأ لا يجيء الى الدعو وهو عاجز ولا يستحم ولا ندري ما به ، ثم صلح عما كان من تقصيره وصاد .

واستحم يوما ، فرفعه البازيار من الماء وقد تفرق ريشه بالبلل عن جانبه ، واذا في جانبه سلعة في قد اللوزة ، فأحضره البازيار بين يدي الوالد وقال : «يا مولاي ، هذه التي قصرت بالباز وكانت تهلكه» ثم مسك الباز وعصرها خرجت مثل اللوزة ، وختم موضعها ، وعاد اليحشور الى الطيور بالسيف والنطع .

وكان شهاب الدين محمود بن قراجا صاحب حماة في ذلك الوقت ينفذ كل سنة يطلب الباز اليحشور يمضي إليه مع البازيار يقيم عنده عشرين يوما يتصيد به ويأخذه البازيار ويعود ، فمات الباز بشيزر.

واتفق انني كنت قد زرت شهاب الدين الى حماة ، وأصبحت يوما وأنا بحماة وقد حضر القراء والمكبرون وخلق عظيم من أهل البلد ، فسألت «من قد مات؟» قالوا: «بنت لشهاب الدين ، فأردت الخروج خلف الجنازة ، فمانعني شهاب الدين ومنعني ، وخرجوا قبروا الميت في تل صفرون ، فلما عادوا قال لي شهاب الدين : «تدري من هو الميت؟» قلت: «قالوا : ولد لك» ، قال: «لا ، والله ، بل هو الباز اليحشور ، سمعت أنه مات أنفذت أخذته وعملت له تابوتا وجنازة وقبرته ، فانه كان يستحق ذلك »

وكان للوالد ، رحمه الله ، فهدة في الفهود مثل اليحشور في البزاة ، اصطادوها وهي وحشية ، من أكبر ما يكون من الفهود ، فأخذها الفهاد وقرمها واستجابها(١٤٨) وكانت تركب ولا تريد الصيد ، وكانت تصرع كما يصرع المصاب بعقله وتزبد ، ويقدم اليها الخشف فلا تطلبه ولا تريده حتى إذا شمته عضته ، وبقيت كذلك مدة طويلة نحوا من سنة ، فخرجنا يوما إلى الأزوار ، فدخلت

الخيل الى الزور وأنا واقف في فم الزور ، والفهاد بهذه الفهدة قريب مني . فقام من الزور غزال وخرج إلي ، فدفعت حصانا كان تحتي من أجود الخيل أريد أرده إلى الفهدة ، وعاجله الحصان ندسه بصدره ، رماه ، فوثبت الفهدة صادته . فكأنها كانت نائمة انتبهت وقالت: «خذوا من الصيد ما أردتم!» فكانت مهما قام لها من الغزلان أخذته ، ولا يستطيع الفهاد ضبطها فتجذبه ترميه ، ولا تقف كما تقف الفهود في طردها بل وقت ان يقول «قد وقفت» تجدد عدوا او تأخذ الغزال .

وصيدنا بشيزر الغزال الادمي ، وهو غزال كبير ، فكنا اذا خرجنا بها الى العلاة والأرض الشرقية ، وفيها الغزال الأبيض ، لا تترك الفهاد يركض بها حتى يمكنها الا تجذبه ترميه ، وتغير على الغزلان كأنها كانت ترى انهم خشوف لصغر الغزال الأبيض .

وكانت هذه الفهدة دون باقي الفهود في دار الوالد ، رحمه الله ، وله جارية تخدمها ، ولها في جانب الدار قطيفة مطوية تحتها حشيش يابس ، وفي الحائط سكة مضروبة يجيء الفهاد بها من الصيد الى باب الدار يحطها وفيها المرفقة ، وتدخل الى الدار الى ذلك المكان المفروش لها فتنام فيه ، وتجيء الجارية تربطها الى السكة المضروبة في الحائط ، وفي الدار والله ، نحو من عشرين غزال أدمي وأبيض وفحول ومعزى وخشوف قد توالدت في الدار ، فلا تطلبهم ولا تروعهم ، ولا تزول عن موضعها ، وتدخل الى الدار وهي مسيبة فلا تلتفت الى الغزلان .

وشاهدت الجارية التي كانت تدور بها وهي تسرح جسمها بالمشط فلا تمتنع ولا تنفر ، ورأيتها يوما ، وقد بالت على تلك القطيفة المفروشة لها ، وهي تتلتلها وتضربها حيث بالت على القطيفة ، ولا تهر عليها ولا تضر بها .

ورأيتها يوما وقد أثارت من بين يدي الفهاد أرنبين ، وقد لحقت

الواحدة وأخذتها وعضتها بفمها وتبعت الأخرى فلحقتها وجعلت تضربها بيدها وفمها مشغول بالأرنب الاولة ، فوقفت عنها بعد أن ضربتها بيديها عدة ضربات ومضت الأرنب .

وحضر معنا في الصيد الشيخ العالم أبو عبد الله الطليطلي النحوي ، رحمه الله ، وكان في النحو سيبويه زمانه ، قرأت عليه النحو نحوا من عشر سنين ، وكان متولي دار العلم بطرابلس ، فلما أخذ الافرنج طرابلس نفذ الوالد والعم ، رحمهما الله ، استخلصا الشيخ أبا عبد الله هذا وياذس الناسخ ، وكان قريب الطبقة في الخط من طريقه ابن البواب ، أقام عندنا بشيزر مدة ونسخ للوالد ، رحمه الله ، ختمتين ثم انتقل الى مصر ومات بها .

وشاهدت من الشيخ ابي عبد الله عجبا ، دخلت عليه يوما لأقرأ عليه فوجدت بين يديه كتب النحو: «كتاب سيبويه» ، و«وكتاب الخصائص» لابن جني «وكتاب الايضاح» لأبي علي الفارسي» و«كتاب اللمع» ، و«كتاب الجمل». فقلت: «يا شيخ أبا عبد الله» ، قرأت هذه الكتب كلها؟ قال: «قرأتها؟ لا والله الا كتبتها في اللوح وحفظتها ، تريد تدري: خذ جزءا وافتحه واقرأ من أول الصفحة سطرا واحدا» ، فأخذت جزءا وفتحته وقرأت منه سطرا ، فقرأ الصفحة بأجمعها حفظا حتى أتى على تلك الأجزاء جميعها ، فرأيت منه أمرا عظيما ما هو في طاقة البشر .

هذه جملة اعتراضية لا موضع لها من سياقة الحديث .

وقد حضر معنا صيد هذه الفهدة ، وهو راكب في رجليه افدام(١٤٩) وفي الأرض شوك كثير وقد ضرب رجليه ادماهما . وهو مشغول ينظر صيد الفهدة ولا يحس بتألم رجليه – مشغول بما يراه من تسللها الي الغزلان وعدوها وحسن صيدها .

وكان الوالد ، رحمه الله ، محظوظا من الجوارح النادرة الفارهة ، وذلك انها كانت عنده كثيرة فيندر منها الجارح

الفاره ، وكان عنده في بعض السنين باز مقرنص بيت احمر العينين ، فكان من أفره البزاة ، فوصل كتاب عمي تاج الأمراء أبي المتوج مقلد ، رحمه الله ، من مصر - و كان مقامه بها في خدمة الآمر بأحكام الله - يقول: «سمعت في مجلس الأفضل ذكر الباز الأحمر العينين ، والأفضل يستخبر المحدث عنه وعن صيده» ، فنفذه الوالد ، رحمه الله ، مع بازياره الى الأفضل ، فلما حضر بين يديه قال له: «هذا هو الباز الأحمر العينين؟» قال :«نعم يا مولاي» ،فقال: «أي شيء يصيد؟» قال: «يصيد السمانة والحرجلة وما بينهما من الصيد» ، فبقي هذا الباز بمصر مدة ثم أفلت وراح وبقي سنة في البرية في شجر الجميز وقرنص في البرية ، ثم عادوا اصطادوه ، فجاءنا كتاب عمي ، رحمه الله ، يقول: «الباز الأحمر العينين ضاع وقرنص في الجميز ، وعادوا اصطادوه وتصيدوا به ، وقد أرسل على الطير منه مصيبة عظيمة».

وكنا يوما عند الوالد ، رحمه الله ، وقد جاء انسان من فلاحي معرة النعمان معه باز مقرنص مكسر ريش الأجنحة والذنب في قدر العقاب الكبير ، ما رأيت قط بازا مثله وقال:«يا مولاي ، كنت اصلي الدلم (١٥٠) بالنادوف ، فضرب هذا الباز على دله في النادوف ، فأخذته وحملته إليك» ، فأخذه وأحسن إلى الذي أهداه ، ووصل البازيار ريشه وحمله واستجابه ، واذا الباز صائد مطابق مقرنص بيت قد أفلت من الأفرنج ، وقرنص في جبل المعرة ، فكان من أفره الجوارح وأشطرها .

وشاهدت يوما وقد خرجنا معه ، رحمه الله ، الى الصيد وقد استقبلنا على بعد رجل معه شيء ما نتحققه ، فلما دنا منا واذا معه شاهين فرخ من أكبر الشواهين وأحسنها وقد خمش يديه وهو حامله ، فدلاه ومسك سباقيه (١٥١) ورجليه - والشاهين مدلى مذشور الأجنحة ، فلما وصلنا قال: «يا مولاي ، اصطدمت هذا الطير ، وقد جئت به اليك» ، فسلمه الوالد الى البازيار فأصلحه ، ووصل ما انكسر من ريشه ، ولم يخرج مخبره مثل

منظره ، كان قد أتلفه الصياد بما عمل به ، والشاهين هو الميزان أدنى شيء يعيبه ويفسده ، وكان هذا البازيار صانعا مجودا في اصلاح الشواهين .

وكنا نخرج من باب المدينة الى الصيد ومعنا جميع آلة الصيد ، حتى الشباك والفؤوس ، والمجارف والكلاليب لما ينجحر من الصيد ، ومعنا الجوارح والبزاة والصقور والشواهين والفهود والكلاب ، فاذا خرجنا من المدينة أدار شاهينين فلا يزالان يدوران على الموكب ، فاذا خرج أحدهما عن القصد تنحنح البازيار وأشار بيده الى النحو الذي يريده فيرجع والله الشاهين من وقته الى ذلك النحو ، ورأيته وقد ادار شاهينا على قطعة من الصلاصل نازلة في مرج ، فلما أخذ الشاهين طبته دق لها الطبل فطارت وانقلب عليها الشاهين ضرب رأس صلصة قطعة ، وأخذها ونزل ، فدرنا والله على ذلك الرأس ما وجدناه ، واثره قد وقع على بعد في الماء لاننا كنا بالقرب من النهر .

وقال له يوما غلام يقال له أحمد بن مجير لم يكن ممكن يركب معه :« يامولاي ، اشتهيت ابصر الصيد » قال :« قدموا لأحمد فرسا يركبه ويخرج معنا » فخرجنا الى صيد الدراج ، فطار ذكر وتنزى (١٥٢) كما جرت العادة وعلى يد الوالد ، رحمه الله ، اليحشور ، فأرسله عليه فطار مع الأرض الأرض والحشيش يضرب صدره والدراج قد ارتفع ارتفاعا كبيرا ، فقال له أحمد :« يامولاي ، وحياتك كان يتلاهى به حتى أخذه »

وكان يجيئه من بلاد الروم الزغارية : كلاب جياد ذكور وأناث ، فكانت تتوالد عندنا ، وصيدها الطير طبع فيها .

شاهدت منها جروة صغيرة قد خرجت خلف الكلاب التي مع الكلابزي ، فأرسل بازا على دراجة فبنجت (١٥٣) في حلفاء في جرف النهر ، فأرسلوا الكلاب على الحلفاء لتطير الدراجة ، وتلك

الجروة واقفة على الجرف ، فلما طارت الدراجة وثبت الجروة خلفها من على ذلك الجرف فوقعت في وسط النهر ، وماتعرف الصيد ولاصادت قط ،

ورأيت كلبا من هذه الزغارية وقد بنجت حجلة في الجبل في بنج صعب وقد دخل اليها الكلب وأبطأ ، ثم سمعنا حشكة في داخل البنج فقال الوالد ، رحمه الله :« في البنج وحش وقد قتل الكلب » ثم بعد ساعة خرج الكلب يجر رجل ابن آوى ، وكان في البنج قد قتله وجره أخرجه الينا .

وكان الوالد ، رحمه الله ، سار الى اصبهان الى دركاه السلطان ملك شاه ، رحمه الله ، فحكى لي قال :« لما قضيت اشغالي من عند السلطان وأردت السفر ، أردت استصحب معي جارحا ، اتفرج به في طريقي ، فجاؤوني ببزاة ومعها ابن عرس معلم يخرج الطيور من البنج فأخذت صقورا تصيد الأرانب والحبارى ، واستصعبت مداراة البزاة في تلك الطريق البعيدة الشاقة ».

وكان عنده ، رحمه الله ، من الكلاب السلوقية كلاب جياد ، أرسل يوما الصقور على الغزلان والأرض مطر ثقيلة بالوحل ، وأنا معه صغير على برذون لي ، وخيلهم قد وقفت من الركض في الطين ، وبرذوني لخفتي عليه مستظهر ، وقد صرعت الصقور والكلاب الغزال ، فقال لي :« ياأسامة الحق الغزال وانزل امسك رجليه الى أن نجيء » ففعلت ، ووصل هو رحمه الله ، فذبح الغزال ومعه كلبة صفراء جواد ، يسمونها الحموية صرعت الغزال ، وهي واقفة ، واذا قطعة الغزلان التي اصطدنا منها قد عادت عابرة علينا ، فأخذ ، رحمه الله ، قلادة الحموية و خرج يهرول بها حتى رأت الغزلان ، وأرسلها عليها اصطادت غزالا آخر .

وكان ، رحمه الله ، مع ثقل جسمه وكبر سنة وأنه لايزال صائما

يركض نهاره كله ، وكان لايتصيد الا على حصان أو اكديش جواد ، ونحن معه أربعة أولاده نتعب ونكل وهو لايضعف ولايكل ولايتعب ، ولايقدر وشاقي ولاصاحب جنيب ولاحامل سلاح يقصر في الركض على الصيد .

وكان لي غلام اسمه يوسف معه رمحي ودرقتي ويجنب حصاني ، فلا يركض على الصيد ولايتبعه ، فيحرد الوالد عليه ، فعل ذلك مرة بعد مرة ، فقال له الغلام :« يامولاي ، ماينفعك أحد من الحاضرين ،والعياذ بالله ، مثل ابنك هذا ، فدعني أكون خلفه بحصانه وسلاحه ، إن احتجته وجدته ، وأحسب أني ماأنا معكم » فما عاد يلومه ولاينكر عليه كونه مايركض على الصيد .

ونزل علينا صاحب أنطاكية وقاتلنا ورحل عن غير صلح ، فركب الوالد ، رحمه الله ، الى الصيد وآخرهم ماأبعد عن البلد ، فتبعتهم خيلنا ، فعادوا عليهم والوالد قد أبعد عن البلد ، ووصل الافرنج الى البلد والوالد قد طلع على تل سكين (١٥٤) يراهم وهم بينه وبين البلد ، ومازال واقفا على التل الى أن انصرفوا عن البلد وعاد الى الصيد .

وكان رحمه الله يطرد اليحامير في أرض حصن الجسر فصرع منها يوما خمسة أو ستة على فرس له دهماء تسمى فرس خرجي باسم صاحبها الذي باعها ، كان اشتراها الوالد منه بثلاثمائة وعشرين دينارا ، فطرد آخر اليحامير ، فوقعت يدها في حفرة مما يحفر الخنازير فانقلبت عليه كسرت ترقوته ثم قامت ركضت قدر عشرين ذراعا وهو مطروح ، ثم عادت وقفت عند رأسه تنحب وتصهل حتى قام وجاءه الغلمان أركبوه ، فهذا فعل الخيل العربية .

وخرجت معه ، رحمه الله ، الى نحو الجبل لصيد الحجل ، فنزل

غلام له اسمه لؤلؤ ، رحمه الله ، لبعض شغله ، ونحن قريب من البلد من بكرة وتحته برذون ، فرأى ظل تركشه (١٥٥) اجفل منه فرماه وانفلت ، فركضت والله عليه وأنا وبعض الغلمان من بكرة الى بعد العصر الى أن ألجأناه الى جشار في بعض الأزوار ، وقام الجشارية مدوا له الحبل وقبضوه كما يقبض الوحش ، وأخذته وعدت والوالد ، رحمه الله ، واقف في ظاهر البلد ينتظرني مايصيد ولاينزل في داره ، فالبرانين بالوحش اشبه مما هي بالخيل .

حكى لي ، رحمه الله قال :« كنت أخرج الى الصيد ويخرج معي الرئيس أبو تراب حيدرة بن قطرميز رحمه الله - وكان شيخه الذي حفظ عليه القرآن وقرأ عليه العربية - فكنا اذا وصلنا موضع الصيد ينزل عن الفرس ويجلس على صخرة يقرأ القرآن ، ونحن نتصيد حوله ، فاذا فرغنا من الصيد ركب وسار معنا ، فقال يوما :« ياسيدنا أنا جالس على صخرة واذا حجلة قد جاءت وهي تتهذكف وهي معيية الى تلك الصخرة التي أنا عليها ، دخلت واذا الباز قد أتى خلفها وهو بعيد منها ، فنزل مقابلي ولؤلؤ يصيح : عينك عينك ياسيدنا ، وجاء وهو يركض وأنا اقول : اللهم استر عليها ، فقال : ياسيدنا اين الحجلة ؟ قلت : مارأيت شيئا ، ماجاءت الى هاهنا ، وترجل عن فرسه ودار حول الصخرة وطلع تحتها فرآها ، فقال : أقول الحجلة هاهنا تقول لا ، وأخذها ياسيدنا كسر رجليها ورماها الى الباز ، وقلبي يتقطع عليها ».

وكان هذا لؤلؤ رحمه الله ، اخبر الناس بالصيد ، شاهدته يوما وكانت جاءتنا من البرية أرانب جالية ، فكنا نخرج نصطاد منها شيئا كثيرا ، وكانت أرانب صغارا حمر فشاهدته يوما وقد جلى عشرة أرانب طعن التسعة بالبالة (١٥٦) أخذها ، ثم جلى أرنبا عاشرة ، فقال له الوالد ، رحمه الله ، :« دعها تقيموها الكلاب نتفرج عليها » فأقاموها وأرسلوا عليها الكلاب ، فسبقت الأرنب وسلمت ، فقال لؤلؤ : « يامولاي ، لو كنت تركتني طعنتها وأخذتها »

وشاهدت يوما أرنبا قد ثورناها وأرسلنا عليها الكلاب ، فانجحرت في ارض الخُبيبة (١٥٧) فدخلت كلبة سوداء خلفها في المجحر ، ثم خرجت في الحال وهي تتعوص (١٥٨) ثم وقعت فماتت ، فما انصرفنا عنها حتى تفسخت وماتت وتهرأت وذاك أنها لسعتها حية في المجحر .

ومن عجيب مارأيت من صيد البزاة أنني خرجت مع الوالد ، رحمه الله ، عقيب مطر قد تتابع ومنعنا من الركوب اياما ، فأمسك المطر فخرجنا بالبزاة نريد طير الماء ، فرأينا طيورا ممرجة في مرج تحت شرف ، فتقدم الوالد أرسل عليها بازا مقرنص بيت ، فطلع مع الطيور اصاد منها ونزل فما رأينا معه شيئا من الصيد ، فنزلنا عنده واذا هو قد اصاد زرزور وطبق كفه عليه ، فما جرحة ولا آذاه ، فنزل البازيار خلصه وهو سالم .

ورأيت من الوز السمند حمية وشجاعة كحمية الرجال وشجاعتها ، وذلك اننا أرسلنا الصقور على رف وز سمند ودققنا الطبول فطار ، ولحقت الصقور تعلقت بوزة حطتها من بين الوز ، ونحن بعيد منها ، فصاحت ، فترحل من الوز اليها خمسة ستة طيور يضربون الصقور بأجنحتها ، فلولا نبادرهم كانوا خلصوا الوزة وقصوا اجنحة الصقور بمناقيرهم .

وهذا ضد حمية الحباري ، فانها إذا قرب منها الصقر نزلت الى الأرض وكيف دار استقبلته بذنبها ، فاذا دنا منها سلحت عليه بلت ريشه وملأت عينيه وطارت ، وان اخطأته بما تفعله به أخذها .

ومن آغرب ماصاده الباز مع الوالد ، رحمه الله ، أنه كان على يده باز غطراف فرخ وعلى خليج ماء عيمة وهي طير كبير مثل لون البلشون (١٥٩) الا أنها أكبر من الكركي ، من طرف جناحها الى طرف جناحها الآخر أربعة عشر شبرا ، فجعل الباز يطلبه ، فأرسله عليه ودق له الطبل ، فطار ودخل فيه الباز أخذه

ووقعا في الماء ، فكان ذلك سبب سلامة الباز ، والا كان قتله بمنقاره ، فرمى غلام من الغلمان نفسه في الماء بثيابه وعدته مسك العيمة واطلعها ، فلما صارت على الأرض صار الباز يبصرها ويصيح ويطير عنها ، وماعاد يعرض لها ، ولارأيت بازا سوى ذلك اصطادها ، فانها كما قال أبو العلاء بن سليمان في العنقاء :« ارى العنقاء تكبر أن تصادا ».

وكان الوالد رحمه الله ، يمضي الى حصن الجسر ، وهو كثير الصيد فيقيم فيه أياما ، ونحن معه نصيد الحجل والدراج وطير الماء واليحامير والغزلان والأرانب ، فمضى يوما إليه وركبنا الى صيد الدراج ، فأرسل بازا يحمله ويصلحه مملوك اسمه نقولا على دراجة ومضى نقولا يركض وراءه ، وقد بنج الدراج في حلفاء ، واذا صياح نقولا قد ملأ الأسماع وعاد يركض ، قلنا :« مالك ؟» قال :« السبع خرج من الحلفاء التي وقع فيها الدراج فخليت الباز وانهزمت » واذا السبع ايضا ذليل مثل نقولا لما سمع أجراس الباز خرج من الحلفاء منهزما الى الغاب.

وكنا نتصيد ونعود ننزل على بوشمير نهر صغير بالقرب من الحصن ، ونذفذ نحضر صيادي السمك فنرى منهم العجب ، فيهم من معه قصبة في رأسها حربة لها جبة مثل الخشوت ، ولها في الجبة ثلاث شعب حديد طول كل شعبة ذراع ، وفي رأس القصبة خيط طويل مشدود الى يده يقف على جرف النهر وهو ضيق المدى ويبصر السمكة فيزرقها بتلك القصبة التي فيها الحديد فما يخطئها ثم يجذبها بذلك الخيط فتطلع والسمكة فيها ، وآخر من الصيادين معه عود قدر قبضة فيه شوكة حديد ، وفي طرفه الآخر خيط مشدود الى يده ، ينزل يسبح في الماء ويبصر السمكة يخطفها بتلك الشوكة ويخليها فيها ويطلع ويجذبها بذلك الخيط يطلع الشوكة والسمكة ، وآخر ينزل يسبح ويمر يده تحت الشجر الذي في الشطوط من الصفصاف على السمكة حتى يدخل اصابعه في

خواشيم السمكة ، وهـــي لاتتحـــرك ولاتنفـــر ، ويأخـــذها ويطلع ، فكانت تكون فرجتنا عليهم كفرجتنا على الصيد بالبزاة

وتوالى المطر والهواء علينا أياما ونحن في حصـــن الجسر ، ثـم أمسك المطر لحظة ، فجاءنا غنائم البازيار وقـال للوالد :« البـزاة جياع جيدة للصـــــيد ، وقـــــد طـــــــــابت وكف المطر ،ماتركب ؟» قال :« بلى » فـركبنا فمـا كان بـأكثر مـن أن خرجنا الى الصحراء ، وتفتحـت أبـواب السـماء بـالمطر ، فقلنا لغنائم :« أنت زعمت أنها طابت وصـحت حتـى أخـرجتنا في هـذا المطر !» قال :« ماكان لكم عيون تبصر الغيم ودلائل المطـر ؟ كنت قلتم لي تكذب في لحيتك ما هي طيبة ولا صاحية!»

وكان هذا غنائم صـانعا جيدا في اصـلاح الشـواهين و البزاة خبيرا بالجوارح ، ظـريف الحـديث طيب العشرة ، قـد رأى مـن الجوارح مايعرف ومالايعرف .

خرجنا يوما الى الصيد من حصـن شـيزر فـرأينا عند الرحـا الجلالي شيئا واذا كركي مطروح على الأرض ، فنزل غلام قلبه واذا هو ميت وهو حار مابرد بعد ، فرآه غنائم قال : « هذا قد اصـطاده اللزيق (١٦٠)».

فتش تحت جناحـه واذا جـانب الكركي مثقـوب وقـد أكل قلبه ، فقال غنائم« هذا جارح مثل العوسق يلحق الكركي يلصق تحت جناحه يثقب اضلاعه ويأكل قلبه »

وقضى الله سبحانه أنني صرت الى خـدمة اتـابك زنكي رحمـه الله ، فجاءه جارح مثل العوسق أحمر المنسر والرجلين جفون عينيه حمر ، وهو من أحسن الجوارح ، فقالوا :« هذا اللزيق » مـابقي عنده الا اياما قلائل وقرض السيور بمنسره وطار .

وخرج الوالد ، رحمه الله ، يوما الى صيد الغزلان ، وأنا معـه

صغير فوصل وادي القناطر واذا فيه عبيد حرامية يقطعون الطريق ، فأخذهم وكتفهم وسلمهم الى قوم من غلمانه يوصلونهم الى الحبس بشيزر ، فأخذت أنا خشتا من بعضهم ، وسرنا في الصيد ، واذا عانة حمير وحش ، فقلت للوالد :« يامولاي ماأبصرت حمير الوحش قبل اليوم ، عن أمرك أركض أبصرهم ، فقال :« افعل » وتحتي فرس شقراء من أجود الخيل ، فركضت وفي يدي ذلك الخشت الذي أخذته من الحرامية ، فصرت وسط العانة فأفردت منها حمارا وصرت أطعنه بذلك الخشت فلا يعمل فيه شيئا لضعف يدي وقلة مضاء الحربة ، فرددت الحمار حتى رددته الى اصحابي ، فأخذوه ، وعجب الوالد ومن معه من عدو تلك الفرس .

فقضى الله سبحانة انني خرجت يوما اتفرج على نهر شيزر وهي تحتي ، ومعي مقرىء ينشد مرة ويقرأ مرة ويغني مرة ، فنزلت تحت شجرة ودفعت الفرس الى الغلام فعمل فيها شكالا وكان الى جانب النهر ، فنفرت ووقعت في النهر على جنبها ، وكلما ارادت تقوم تعود تقع في الماء لأجل الشكال ، وكان الغلام صغيرا لايقدر على تخليصها ، ونحن لانعلم ولاندري، فلما قاربت الموت صاح بنا فجئناها وهي في آخر رمق ، فقطعنا شكالها وأطلعناها ، فماتت ، وماكان الماء يصل الى عضدها الذي غرقت فيه ، وانما الشكال اهلكها .

وخرج يوما الوالد ، رحمه الله ، الى الصيد ، وخرج معه أمير يقال له الصمصام ، من أصحاب فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس على سبيل الخدمة ، وهو رجل قليل المخبرة بالصيد ، فأرسل الوالد بازا على طيور ماء فأخذ منها طيرا ووقع في وسط النهر ، فجعل الصمصام يدق يدا على يد ويقول:«لا حول ولا قوة إلا بالله، كيف كان خروجي في هذا اليوم؟» فقلت له:«يا صمصام، تخاف على الباز أن يغرق؟» قال:«نعم قد غرق بطة هو حتى يقع في الماء و لا يغرق؟»فضحكت وقلت :«الساعة يطلع» فأخذ الباز رأس

الطير وسبح وهو معه حتى طلع به ، فبقي الصمصام يتعجب من ذلك ويسبح الله سبحانه ، ويحمده على سلامة الباز .

ومنايا الحيوان ، مختلفة الألوان ، قد كان الوالد ، رحمه الله ، أرسل زرقا ابيض على دراجة ، فوقعت الدراجة في حلفاء ودخل معها الزرق .

وفي الحلفاء ابن آوى أخذ الزرق قطع رأسه ، وكان من خيار الجوارح وأفرهها .

ورأيت من منايا الجوارح وقد ركبت يوما وبين يدي غلام لي معه باشق ، فرماه على عصافير ، فأخذ عصفورا ، وجاء الغلام ذبح العصفور في رجل الباشق ، فنفض الباشق رأسه وتقيأ دما ووقع ميتا ، والعصفور في تلفه مذبوح فسبحان مقدر الآجال .

واجتزت يوما من باب فتحناه في الحصن لعمارة كانت هناك ، ومعي زر بطانة ، فرأيت عصفورا على حائط أنا واقف تحته ، فرميته ببندقة فأخطأته ، وطار العصفور وعيني الى البندقة ، فنزلت مع الحائط وقد أخرج عصفور رأسه من ذقب في الحائط فوقعت البندقية على رأسه ، فقتلته ، ووقع بين يدي فذبحته ، وماكان صيده عن قصد ولا اعتماد .

وأرسل رحمه الله ، يوما الباز على أرنب قامت لنا في زور كثير الشوك ، فأخذها وانفرطت منه ، فجلس على الأرض ، وراحت الأرنب ، فركضت أنا فرسا دهماء تحتي من جياد الخيل لأرد الأرنب ، فوقعت يد الفرس في حفرة فانقلبت علي ، فملأت يدي ووجهي من ذلك الشوك وانفسخت رجل الفرس ، ثم انتقل الباز من الأرض بعدما ابعدت الأرنب لحقها اصادها فكأنه كان قصده اتلاف فرسي وأنيتي بالوقوع في الشوك .

فأصبحنا يوما في أول يوم من رجب صياما ، فقلت للوالد ، رحمه الله :« أشـــتهي أخـــرج أتشـــاغل بـــالصيد عن الصيام » قال :« اخرج » فخرجت أنا وأخي بهاء الدولة أبو المغيث منقـــذ ، رحمـــه الله ، ومعنا البـــزاة الى الأزوار فـــدخلنا في سوس ، فقام لنا خنزير ذكر فـطعنه أخـي جـــرحه ودخـــل ذلك السوس ، فقال أخي :« الساعة يكربه الجرح ويخـرج ، اسـتقبله اطعنه اقتله » قلت :« لاتفعل يضرب فرسك يقتلها » نحـن نتحـدث والخنزير خرج يريد زورا آخـر ، فـالتقاه اخـي طعنه في سـنامة انكسرت فيه عالية القنطارية التي طعنه بها ، ودخل تحـت فـرس شقراء تحته عشراء محجلة شعلاء ضربها رمـاها ورمـاه ، فـأما الفرس فانفسخت فخذها وتلفت ، وأما هو فانفكت اصبعه الخنصر وانكسر خاتمه .

وركضت أنا خلف الخنزير ، فدخل في سوس مخصب وخناث فيه باقورة نائمة ماأراها من ذلك الغاب ، فقـام منهـا ثـور في صـدر حصاني فندسة ، فوقعت ووقع الحصان وانكسر لجـامه ، وقمـت أخذت الرمح وركبت ولحقته وقد رمى نفسه في النهر ، فوقفت على جرف النهر وزرقته بالرمح فوقع فيه وانكسر منه قدر ذراعين وبقيت الحربة ، وكسر الرمح فيه ،وسبح إلى ناحية النهر ، فصحنا بقـوم من ذلك الجانب يضربون لبنا لعمارة بيوت في قرية لعمي ، فجـاؤوا ووقفوا عليه وهو تحت جـرف لايقـدر يطلع منه ، فجعلوا يرمـونه بـالحجارة الكبـار حتـــى قتلوه ، وقلت لركابـــي لي : « انزل اليه » فقلع عدته وتعرى وأخذ سيفه وسبح اليه تمم قتله ، وسـحب برجله وأتى به وهو يقـــول :« عرفـــكم الله بـــركات صـــيام رجب ! استفتحناه بنجس الخنازير .

ولو كان للخنزير ظفر مثل الأسد كان اشد بأسا من الأسد ، فلقد رأيت منها خنزيرة قد أقمناها عن جريات لها ، واحد منهـا يضرب حافر فرس غلام معي بفمه وهو في قد جرو القط ، فأخذ الغلام مـن

تركشه نشابة ومال اليه طعنه بها ، ورفعه في النشابة ، فعجبت من قتاله وضربه حافر الفرس وهو بحيث يحمل في سهم نشاب .

وكان من عجائب الصيد أننا كنا نخرج الى الجبل الى صيد الحجل ، ومعنا عشرة بزاة نتصيد بها النهار كله ، والبازيارية مفترقة في الجبل ومع كل بازيار فارسان ثلاثة من المماليك ، ومعنا كلابزيان اسم الواحد بطرس والآخر زرزور بادية وكلما أرسل البازيار على حجلة وبنجت قد صاحوا :« يابطرس !» يعدو اليهم مثل الهجين ، كذلك النهار كله يعدو من جبل الى جبل هو ورفيقه ، فاذا اشبعنا البزاة ورجعنا أخذ بطرس قلاعة وعدا خلف واحد من المماليك ضربة بها ، أخذ الغلام قلاعه وضرب بطرس ، فلا يزال يطارد الغلمان ماكأنه كان نهاره كله يعدو من جبل الى جبل .

ومن عجائب الكلاب الزغارية أنها ماتأكل الطيور ، ولاتأكل منها الا رؤوسها وأرجلها التي ماعليها لحم ، والعظام التي قد أكلت البزاة لحمها .

وكان للوالد ، رحمه الله ، كلبة سوداء زغارية يضع الغلمان بالليل على رأسها السراج ويقعدون يلعبون بالشطرنج وهي لاتتحرك ولاتزول حتى عمشت عيناها ، وكان الوالد ، رحمه الله ، يحرد على الغلمان ويقول : « قد اعميتم هذه الكلبة ! » ولاينتهون عنها .

وأهدى الأمير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك صاحب القلعة للوالد كلبة عروفا ترسل تحت الصقور على الغزلان فكنا نرى منها العجب .

وصيد الصقور بالترتيب ، يرسل في الأول المقدم فيعلق بانن غزال يضربه ، ويرسل العون بعده فيضرب غزالا آخر ، ويرسل العون الآخر فيفعل كذلك ، ويرسل الرابع كذلك ، فيضرب كل صقر منها

على غزال ، فيأخذ المقدم انن غزال ويفرده من الغزلان ، فترجع الصقور جميعها اليه وتترك تلك الغزلان التي كانت تضربها ، وهذه الكلبة تحت الصقور لاتلتفت الى شيء من الغزلان الا ماعليه الصقور ، فيتفق ان يظهر العقاب فتحمل الصقور عن الغزال ، فيمضي الغزال ، وتدور الصقور ، فكنا نرى تلك الكلبة قد رجعت عن الغزلان وقت رجوع الصقور ، وهي تدور تحت الصقور في الأرض كما تدور الصقور في الهواء حلقة ، ولا تزال تدور تحتها حتى تنزل الصقور الى الدعو ، فحينئذ تقف وتمشي خلف الخيل .

وكان بين شهاب الدين مالك وبين الوالد ، رحمهما الله ، مودة ومواصلة بالمكاتبات والرسل ، فنفذ اليه يوما يقول له :« خرجت الى صيد الغزلان فاصطدنا منها ثلاثة آلاف خشف في يوم » وذلك ان الغزلان عندهم في ارض القلعة كثيرة ، وهم يخرجون وقت ولاد الغزلان خيالة ورجالة فيأخذون منها ماقد ولد تلك الليلة وقبلها بليلة وليلتين وثلاث ، يقشونها كما يقش الحطب والعشب .

والدراج عندهم كثير في الأزوار على الفرات ، واذا شق جوف الدراجة وأزيل مافيه وحشي بالشعر لاتتغير رائحتها أياما كثيرة ، ورأيت يوما دراجة قد شق جوفها وأخرجت قانصتها ، وفيها حية قد أكلتها نحو من شبر .

وقتلنا مرة ونحن في الصيد حية خرج من جوفها حية قد بلعتها صحيحة دونها بيسير ، ففي طباع جميع الحيوان اعتداء القوي على الضعيف

والظلم من شيم النفوس
فان تجد ذا عفة فلعلة لايظلم .

الخاتمة

حضر ذكر الصيد وقد شهدته سبعين سنة من عمري غير ممكن ولامستطاع ، وتضييع الأوقات في الخرافات ، من أعظم عوارض الآفات ، وأنا استغفر الله تعالى من تضييع الصبابة الباقية من العمر ، في غير طاعة واكتساب ثواب وأجر ، وهو تبارك وتعالى يغفر الخطية ، ويجزل من رحمته العطية، فهو الكريم الذي لايخيب أمله ، ولايرد سائله .

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله الطاهرين أجمعين ، وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل وكان في آخر الكتاب مامثاله :

قرأت هذا الكتاب من أوله إلى آخره في عدة مجالس على مولاي جدي، الأمير الأجل العالم الفاضل الصدر الكامل،عضد الدين،جليس الملوك والسلاطين،حجة العرب،خالصة أمير المؤمنين،أدام الله سعادته ، وسألته أن يجيزني روايته عنه فأجابني إلى ذلك وسطر خطة الكريم به،وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة عشر وستمائة،صحيح ذلك،وكتب جده مرهف بن اسامة بن منقذ ، حامدا ومصليا .

الملاحق

obeikandl.com

obeikandl.com

أبو الحسن علي بن السلار المنعوت بالملك العادل سيف الدين

(من وفيات الأعيان لأبن خلكان)

ورأيت في مكان آخر أنه أبو منصور علي بن اسحق ، عرف بابن السلار وزير الظافر العبيدي صاحب مصر ورأيت في بعض تواريخ المصريين أنه كان كرديا زرزاريا وكان تربية القصر بالقاهرة ، وتقلبت به الأحوال في الولايات بالصعيد وغيره الى أن تولى الوزارة للظافر المذكور في رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، ثم وجدت في مكان آخر أن الظافر المذكور استوزر نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال في أول ولايته وكان ابن مصال من أكابر أمراء الدولة ، ثم تغلب عليه العادل بن السلار وعدى ابن مصال الى الجيزة ليلة الثلاثاء رابع عشر شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة عندما سمع بوصول ابن السلار من ولاية الاسكندرية ، طالبا للوزارة ، ودخل ابن السلار القاهرة في الخامس عشر من الشهر المذكور وتولى تدبير الأمور ، ونعت بالعادل أمير الجيوش ، وحشد ابن مصال جماعة من المغاربة وغيرهم ، وجرد العادل العساكر للقائه فكسره بدلاص من الوجه القبلي وأخذ رأسه ودخل به القاهرة على رمح يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة ، واستمر العادل الى أن قتل ، وهذا القول أصح من الأول والله اعلم .

وكان ابن مصال من اهل لك ، بضم اللام وتشديد الكاف ، وهي بليدة عند برقة من أعمالها، وكان هو وأبوه يتعاطيان البيزرة والبيطرة وبذلك تقدما ، وكانت وزارة ابن مصال نحوا من خمسين يوما وكان ابن السلار شهما مقداما مائلا الى ارباب العقل

والصلاح ، عمر بالقاهرة مساجد ، ورأيت بظاهر مدينة بلبيس مسجدا منسوبا إليه ، وكان ظاهر التسنن شافعي المذهب ولما وصل الحافظ أبو طاهر أحمد السلفي رحمه الله تعالى إلى ثغر الاسكندرية المحروس ، واقام به ، ثم صار العادل المذكور واليا احتفل به وزاد في اكرامه وعمر له هناك مدرسة فوض تدريسها اليه ، وهي معروفة الى الآن ولم ار بالاسكندرية مدرسة للشافعيين سواها ، وكان مع هذه الأوصاف ذا سيرة جائرة ، وسطوة قاطعة يؤاخذ الناس بالصغائر والمحقرات ، ومما يحكي عنه أنه قبل وزارته بزمان وهو يومئذ من آحاد الأجناد ، دخل يوما على الموفق ابي الكرم بن معصوم التنيسي وكان مستوفي الديوان ، فشكا اليه حاله من غرامة لزمته بسبب تفريطه في شيء من لوازم الولاية بالغربية ، فلما أطال عليه الكلام قال له أبو الكرم : والله إن كلامك مايدخل في أنني فحقد عليه ذلك فلما ترقى الى درجة الوزارة طلبه فخاف منه واستتر مدة،فنادى عيه في البلد وهدر دم من يخفيه . فأخرجه الذي خبأه عنده ، فخرج في زي امرأة بازار وخف ، فعرف فأخذ وحمل الى العادل فأمر باحضار لوح من خشب ومسمار طويل فألقى على جنبه وطرح اللوح تحت أذنه ، ثم ضرب المسمار في الأذن الأخرى ، فصار كلما صرخ يقول له دخل كلامي في أذنك بعد أم لا ؟ ولم يزل كذلك حتى نفذ المسمار من الأذن التي على اللوح ، ثم عطف المسمار على اللوح ، ويقال أنه شنقه بعد ذلك .

وكان قد وصل من إفريقية إلى الديار المصرية أبو الفضل عباس ابن أبي الفتوح بن يحيي بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي وهو صبي ومعه أمه واسمها بلارة ، فتزوجها العادل المذكور ، وأقامت عنده زمانا ، ورزق عباس ولدا سماه نصرا ، فكان عند جدته في دار العادل والعادل يحنو عليه ويعزه ، ثم ان العادل جهز عباسا الى جهة الشام بسبب الجهاد وكان معه اسامة بن منقذ ، المذكور في حرف الهمزة فلما وصل الى بلبيس ، وهو مقدم الجيش الذي سار في صحبته تذاكرا طيب الديار المصرية وحسنها وماهي عليه ، وكونه يفارقها ويتوجه للقاء العدو ، ويقاسي النكال فأشار عليه

اسامة ، على ماقيل ، بقتل العادل ويستقل هو بالوزارة ويستريح من الذكال وتقرر بينهما أن ولده نصرا يباشر ذلك اذا رقد العادل فإنه معه في الدار ، ولايذكر عليه ذلك وحاصل الأمر أن نصرا قتله على فراشه يوم الخميس سادس المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بدار الوزارة بالقاهرة المحروسة رحمه الله تعالى ، وتفصيل الواقعة يطول ، وقيل إنه قتل يوم السبت حادي عشر المحرم من السنة المذكورة،وكان والده في صحبة سقمان بن أرتق صاحب القس ، فلما أخذ الأفضل أمير الجيوش القدس من سقمان ، كما هو مذكور في ترجمة أبيه أرتق ، وجد فيه طائفة من عسكر سقمان ، فضمهم الأفضل اليه ، وكان في جملتهم السلار والد العادل المذكور ، فأخذه الأفضل إليه ، وتقدم عنده وسماه سيف الدولة ، وأكرم ولده هذا وجعل في صبيان الحجر ، ومعنى صبيان الحجر عندهم أن يكون لكل واحد منهم فرس وعدة ، فاذا قيل له عن شغل مايحتاج أن يتوقف فيه ، وذلك على مثال الداوية والاسبتار ، فاذا تميز صبي من هؤلاء بعقل وشجاعة قدم للامارة فترجح العادل بهذه الصفات وزاد عليها بالجزم والهيبة وترك المخالطة فأمره الحافظ ، وولاه الاسكندرية وكان يعرف برأس البغل،ثم تقدم وهذا نصر بن عباس هو الذي قتل الظافر اسماعيل ابن الحافظ صاحب مصر، وقد ذكرته في ترجمته .

عباس بن أبي الفتوح الصنهاجي

(من كتاب المقفى للمقريزي)

عباس بن أبي الفتوح يحيى بن أبي طاهر يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس الحميري الصنهاجي :

قدم صغيرا على يدي أمه بلارة بنت القاسم مع أبيه أبي الفتوح الى الاسكندرية لما اخرجه اخوه أبو الحسن علي بن يحيى بن تميم من إفريقية فأمر الخليفة الآمر بأحكام الله بإكرامه فلم تطل أيام حياته بالاسكندرية ومات .

فتزوجت بلارة بعد وفاته بعلي بن السلار الملقب بالعادل الوزير ، فسعد بها وعلا شأنه ، وشب عباس فقدمه الخليفة الحافظ لدين الله وجعله صاحب الباب .

فلما مات الحافظ في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة واستخلف من بعده ابنه ابو المنصور اسماعيل الظافر بأمر الله ، خلع على نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال وأقامه في الوزارة ، فأسخط ذلك المظفر علي بن السلار ، وهو يومئذ والي الغربية ، وسار فرافقه عباس وتوجه معه الى القاهرة واستقر في وزارة الظافر ، فخرج عباس بعسكر الى محاربة الوزير نجم الدين سليمان ابن مصال الى دلاص ، وقاتل ابن مصال حتى هزم من معه وحرق جامع دلاص ، وقد امتنع به قوم من لواته وكثير من السودان حتى أتلفهم ، وأسر ابن مصال وقتله وحمل رأسه ، ودخل الى القاهرة، وولده نصر بن عباس يحمل الرأس على رمح .

وأقام بالقاهرة ونعت بـ « ركن الاسلام » الى أن قوي الأفرنج

ونازلوا عسقلان في البر والبحر ، فجهز العادل ابن السلار العساكر ، وسيرها مع ركن الاسلام عباس ، فخرج ومعه من الأمراء ملهم والضرغام واسامة بن منقذ في عدة .

وكان اسامة خصيصا بعباس ، فحسن له ، وقد نزلوا على بلبيس ، ان يعمل في أخذ الوزارة من العادل ، بأن يبعث ابنه ناصر الدين نصر بن عباس الى القاهرة ليتحدث مع الظافر في ذلك ، فوافق لهذا غرض عباس ، وبعث ابنه ، فكان من قتله العادل ماقد ذكر في ترجمته .

فكتب الظافر الى عباس فحضر من بلبيس وتقلد وزارة مصر بعد زوج أمه والأتراك قد استوحشوا من قتل ابن السلار ، فلم يجد سبيلا الى تلافي أمرهم ، وخرجوا يدا واحدة الى دمشق ، وبطل مسير العساكر الى عسقلان ، فسر الفرنج ماوقع بالقاهرة وقالوا لأهل عسقلان ، وهم على حصارهم : ان سلطانكم قد قتله ابنه ، فأنتم لمن تقاتلون ؟ ففترت عزائمهم عن القتال الى أن أخذ الفرنج عسقلان .

واستبد عباس بأمر الدولة وضبط الأمور وأكرم الأجناد ، وأحسن الى الأمراء الى أن قتل ابنه نصر بن عباس الظافر ، فصعد العباس الى القصر يوم الخميس على العادة وجلس في مقطع الوزارة ينتظر الخليفة الظافر حتى طال جلوسه فاستدعى بمفلح زمام القصر وقال له : ان كان لمولانا شغل عدنا اليه في الغد .

فمضى الزمام وهو حائر ، وأعلم أخوي الظافر يوسف وجبريل بالقصة ، فما شكا في قتل الظافر ، فعاد اليه ، وكان من اقامته عيسى بن الظافر ونعته بالفائز ، ماذكر في خبره ، فظن أن الأمر قد استقام له ، فأتاه مالم يحتسبه ، وأخذ أهل القصر في اعمال الحيلة عليه ، فاختلف عليه الأمراء والسودان ونافروه لما اشتهر من قتل

ابنه نصر بن عباس للخليفة الظافر ، وهاجت الفتنة وصارت العساكر أحزابا ، ولبسوا سلاحهم ، فخرج عباس لقتالهم في يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسمائة وكسرهم وقتل منهم جماعة .

فبعثت عمة الفائز إلى طلائع بن رزيك والي الأشمونيين والبهنسى تستدعيه لأخذ ثأر أخيها الظافر ، فحشد وسار من منية بني خصيب ، فبعث إليه عباس عسكرا في عاشر ربيع الآخر نزل على اطفيح فخالف عرب اطفيح على عباس ولحقوا بطلائع وهو على أبويط ، فسار بهم الى دهشور (١٦١) فاضطرب عباس وانحل عنه الناس يريدون لقاء طلائع ، وناكده أهل القاهرة بحيث انه مر في يوم فألقي عليه من طاق في الشارع هاوون ، ورمي مرة بقدر قد ملئت بطعام حار ، فقال :« مابقي بعد هذا من شيء » وهم بالفرار فوجد ابواب القاهرة مغلقة .

ثم دبر أمره وخرج ومعه ابنه نصر ، وأسامة بن منقذ ، ومعهم جميع أموالهم ، فأخذ طلائع القاهرة، ونهبت دور عباس وولده وأتباعه .

وسار عباس على طريق أيلة ، فبعثت عمه الفائز الى الفرنج بعسقلان تعلمهم الحال وتبذل لهم المال ، فخرجوا الى عباس وقاتلوه ، ففر عنه أسامة بن منقذ ومعه أصحابه ، وبقي يقاتل حتى قتل يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، واسر ابنه نصر وحمل الى القاهرة .

وحكي ان عباسا جلس للمنادمة ، فلما أخذت الكأس منه قال : تبا لمن يعتقد امامة هؤلاء ، ويقول أنه لايكون امام الا بوصية ، والله لقد قتلت الظافر ولاعلم له بذلك حتى يوصي ، وقد استعرضت أقاربه كالغنم اهانة وذبحا ، وقدمت هذا الملقب

بالفائز ، وعمـره خمس سـنين ، وعلى يدينا ذهبـت دولتهـم بالمغرب ، وكذلك تذهب بالمشرق ، فقتله اله وقتل ولده الظافر .

obeikandl.com